ليالي الداخلية

رواية تتناول حياة الكاتب ورفاقه من الطلبة في الداخلية """""دار الطالب ""بفجيج شرق المملكة المغربية في السبعينيات من القرن الماضي
تصوير للاحداث و نقل للصور المثيرة داخل فضاء الدار وفي المدينة منذ وصول الكاتب الى الداخلية 1974 حتى خروجه منها 1978

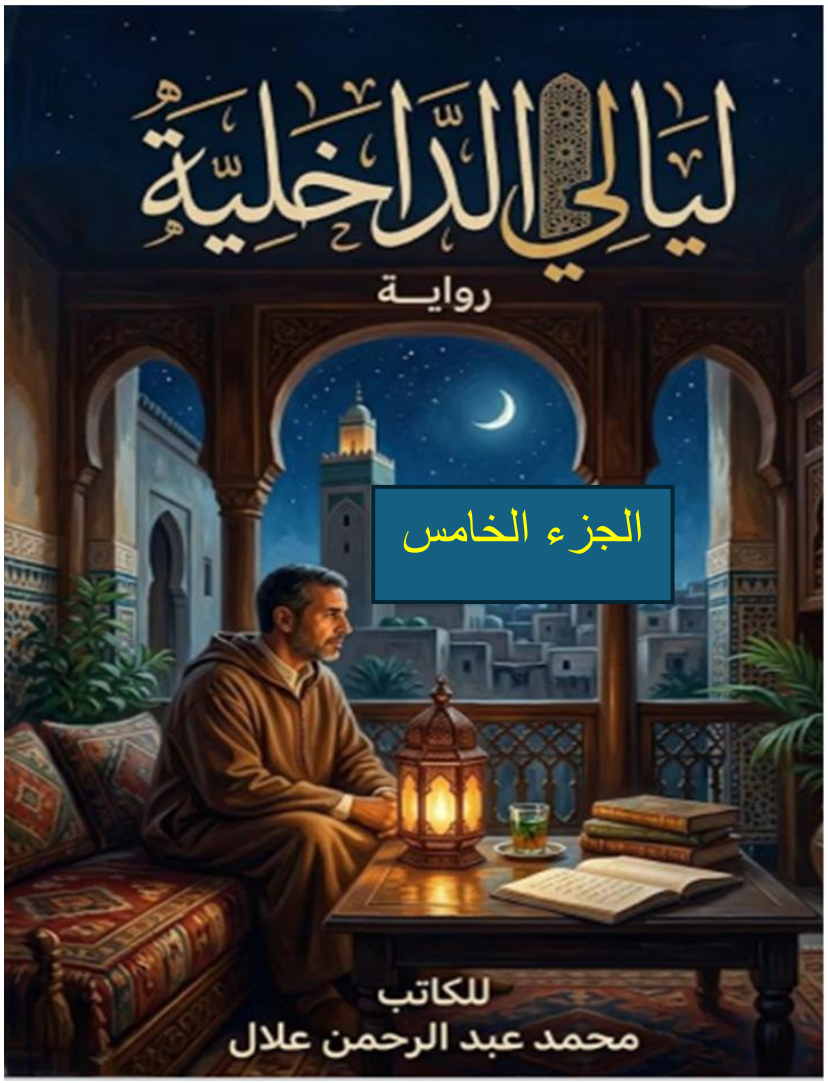

كان النزلاء يجلبون من نوى التمر اغلظه وأصلبه .و من الحصوات الصغيرة أشدها أثرا وقد جمعوها من قبل إحياء لذلك الليل البعيد .كانوا يقذفونها بقوة حتى تصل الى مرماها دون تمييز أو اعتبار للعواقب.لم يكن بيد تيمح شيء فيضرب به كما يفعل الضاربون .ظل يمك بفمه حتى لا يفتضح ضحكه .اختلط الصراخ من شدة الالم بالضحك ،بالسب والشتم تحت جنح الظلام .ثم ليهدأ كل شيء لبرهة قبل ان يعود الصخب من جديد """"ماو ،مَاوْ مَا وْ" في كل اتجاه و في كل ركن من القاعة .يعود المسؤول تارة أخرى ليهدد ويتوعد ويسب """اذا امسكت بمن يقوم بالشغب فانه سيبيت بالخارج" «يطفئ النور ويغادر يعم الشخير المكان .يهدأ كل شيء ليسمح لسمفونية هدير محرك محطة الكهرباء باستلام المكان حتى انبلاج ضوء الصباح.حين كان الصباح ، استفاق الجميع على ارضية ملأي بالشوائب، كأن إعصارا مر بالمكان دون سابق إنذار .غادر تيمح الداخلية يقصد مكتبة سي """بزة"" .صففت فيها الكتب كعادتها في

ترتيب بديع على الرفوف او الطاولات العريضة . داخل المكتبة وفي الخارج ،كل شيء كان يوحي باقتراب حدث ما .... -

ليالي الجوع والحرمان من الاهل والاسرة لفترات ،كانت تبدو امام هؤلاء الطلاب المساكين شهورا ،اعواما، بل قرونا من الزمن الصعب .لم يثنهم ذلك عن الجد والمثابرة في تحصيل العلم والمعرفة .بل ،كانت دافعا ومفتاحا لهم على ابواب المستقبل الذي كان يترائ لهم مشرقا .وظيفة قيمة .مسكن لائق .سيارة تخفف عنهم تعب الطريق وعناء التنقل المضني ..زوجة تملأ بيوتهم اشراقا وأملا.

اقترب يوم السبت .في ذلك اليوم ، ستشهد الدار حدثا فنيا بارزا .لم يكن لتيمح عهد بمثل تلك الاحداث من قبل ما عدا ما شاهده على شاشة سينما الشارع بمدينة بوعرفة، حيث كان شارع المسيرة الخضراء يعج بالمشتاقين الى هذا النوع من الفرجة.عندما فتح تيمح عينيه على قاعة الاطعام في أول أيامه بالداخلية ،وقع بصره على منصة للمسرح من الخشب ذات الستارة الحمراء . قبل موعد اللقاء بأيام قليلة ،شرع الطلاب نزلاء الدار يشاركون في تنظيف كل الارجاء ؛وقاعة المسرح كانت ذات أولوية قصوى ..كانوا يفعلون ذلك بأمر من سي عزوز .تزينت ساحة الدار وظهرت جميلة نقية اخاذة .ظل تيمح ينتظر الحدث بشغف رغم كونه لم يكن يفقه في شأنه شيئا .فهو الذي عاش في قريته إيش على الحدود عاش هناك على الرعي والحطْبِ وجلب الماء من عين ""موحو"" على الحدود الوهمية .حتى بعد انتقاله الى المدينة ،مدينة بوعرفة ،لم يجد بها من هذه المظاهر شيئا .لم يكن يعرف معنى المسرح لا مضمونا ولا شكلا ولا أدوات

.ظل فقط يحتفظ بصور من مشاهداته لأشرطة سينما العام ،ولم تكن سوى اشهارا لبعض المنتجات الصناعية او لقطات من فيلم ""شارلو "".يومها ،وهو يعود من الثانوية زوالا ، تناول غذاءه المألوف ،لكنه اليوم تناوله بشراهة وطيبة نفس .فالمناسبة كافية لتفتح نفسه على الأكل وتحسسه بالشبع ولو كان وهميا. طيلة مساء ذلك اليوم ،لم يتوقف عن تنظيف أرضية الدار .يجمع الأوراق الملقاة في كل زاوية .يكنس .يزيل الأعشاب الزائدة من حول النخلات .يفعل ذلك لعل نشاطه هذا يعجب ""سي عزوز"" ،فيجعله أول الحاضرين في السهرة .وحلت السابعة مساء. ودخل الناس الى قاعة العرض يأخذون أماكنهم على الكراسي .أغلقت الأبواب إلا الباب الكبيرة للدار .من خلال نافذة غرفة النوم الطويلة ، رآهم يدخلون وسط استقبال بهيج .كان هناك من يرحب بهم .رافقهم شخوص عليهم بذلات فخمة -لم يتبينهم – رافقوهم الى القاعة في موكب عظيم حيث ينتظرهم المنتظرون العارفون بتفاصيل

مثل تلك الأحداث.ظل لفترة طويلة ينتظر أن ينادى عليه وبعضا من صحابه ممن وعدهم سي عزوز بالدخول جزاء ما اشتغلوا،فقد وعدهم السي"عزوز" سأسمح لكم بحضور العرض إن نظفتم الدار وزينتموها "" كانت كلماته بمثابة جائزة ينتظرون الحصول عليها بعد اختبار عسير .مرت الدقائق صعبة طويلة لم يناد عليه أحد ،ولم يناد على أحد من رفاقه .انطلق الحفل بأغاني رائعة تسمع من خلال تلك النوافذ الخشبية .كانت أصداء التصفيق والهتاف والآهات تصل مسامعهم . بعد فوات الأوان ،وبعد أن فقد الأمل في حضور العرض ،علم أن هؤلاء كانوا فنانين مغاربة متوجهين الى الجزائر لإحياء سهرات هناك .كانت الحدود مفتوحة .والحركة بين الدولتين لا تنقطع .علم أن "حميد الزاهر وعبدالهادي بلخياط كانا من بين من نشطوا السهرة لصالح ساكنة فجيج تلك الليلة.على مدى ساعات ثلاث من البهجة داخل القاعة ،كان "تيمح" وصحابه يجترون الخيبة والحسرة على وعد عملوا من أجله بنية صادقة وبراءة

لكنهم أُخلفوه .خرج هؤلاء وخلفهم خلق كبير من أهل فجيج كان تيمح ينظر إليهم يغادرون الدار يرغب فقط في أن يرى أحدا منهم .لكن خيبته كانت كبيرة وقد غيبهم عن ناظرية من كانوا يحفون بهم من مرافقين .لدقائق عديدة ،وقد اجتمعوا على سرير احد الأصحاب ظل تيمح ورفاقه يقسمون على عدم ألا يثقوا مرة أخرى في وعد من يعدهم والتجربة بين أيديهم .لم تبرد حرارة مرارتها ولم تنطفئ بعد نارها التي كوتهم في ذلك الليل الأليم.

... كان تيمح حديث عهد بالعيش مع الجماعة .يجمعهم حيز مكاني وزماني واحد .يتحركون معا عند كل أمر .يمسه ما يمسهم .فرحا أو حزنا .سعادة أو ألما .يجمعهم طعام واحد وسرير في موضع واحد .في تلك الليلة الظلماء ،وهو على سريره ينتظر أن تغفو عيناه ويخلد الى النوم ،جال بمخيلته في الماضي القريب ؛يتفحص صور أحداثه .يقرأ بعض التفاصيل الغريبة فيه .سالت دموعه أودية .وعانق شهيقه عنان السماء مخترقا حلكة الليل المخيفة لولا أن منعته الأغطية الصوفية .قبل أن يغادر أبوه مدينة فجيج بعد زوال يوم الرابع عشر من شهر شتمبر من عام أربعة وسبعين وتسعمائة والف؛اليوم الذي سجل فيه اسمه في ثانوية سيدي عبدالجبار ودار الطالب ، وبعد أن تناول غذاء عند أحد معارفه وكان يدعى "بوراص سليمان ""،أخرج أبوه قطعا نقدية ورقية من فئة خمسة دراهم حتى شكلت خمسا وعشرين درهما ، فناوله إياها وهو يوصيه :"دس فلوسك .عندك يديهم لك شي واحد .قرا مليح .أيا الله

يهنيك""ركب الأب وأحمد زروال السيارة التي أقلته الى مدينة العلم والدراسة فجيج ؛وانطلقا بسرعة دون أن يلتفتا اليه .كان تيمح يراقب السيارة وهي تبتعد سريعا سريعا على طول ذلك الشارع الطويل كان يتمنى أن تعود أدراجها فتعيده الى بوعرفة الى تلك الحياة البسيطة الهادئة .صارت عيناه تدرفان دموعا حارقة تنهمر عبر الخدين انهارا .بادره أحد قدماء نزلاء دار الطالب يقول:""متبكيش .متبكيش أصاحبي .كن راجل .غدي تَتْوالفْ .يالله نمشيوْ للسينما ""كانت تلك الكلمات بردا وسلاما على عيني تيمح .كانت فيصلا بين التفكير في العودة للعيش مع الأسرة حيث الاخوة والوالدين ،و بين حياة العيش مع جماعة ممن قهر الفقر أسرهم فرمت بهم الأقدار الى ذلك المكان مجبرين .حياة التدرب على شظف العيش واكتساب مبادئ الرجولة والخشونة والتجلد .حين عاد تيمح الى دار الطالب ،استراح والصحاب على أسرتهم قبل أن يدعوا الى وجبة العشاء .لم يكن مهتما بالأكل أكثر من اهتمامه بالوديعتين اللتين أودعهما لديه

أبوه .وديعة المال الذي وضع بين يديه وهي أمانة يجب الحفاظ عليها لانها ستساعده على الأقل عل اقتناء ""معقودة ""با فرنن بين حين وحين .،ثم وديعة الوصية بالجد في الدراسة .كان يستمع الى همس الطلاب يخترق الصمت القاتل .يعانقه في تناغم صوت قادم من هناك ،من محطة الطاقة الكهربائية حيث كان المحرك ينسج مع ذلك الهمس زرابي مزركشة الانغام .فجأة ،وجد نفسه قد غاب عن الوجود الى عالم الاحلام الملون. وهو يغط في نوم مريح ،انتبه على صوت حقيبته وقد حملها أحدهم ثم وضعها على أرضية الغرفة تحت سريره برفق ،ثم بعنف .نهض تيمح مفزوعا يتلمس موضع الحقيبة ،كانت يد قد حركتها من مكانها بعد أن سرقت الكنز الذي بداخلها .سرقت وديعة أودعها أبوها اياه.بحث تيمح في كل مكان من الحقيبة ،لكن لا اثر للنقود.انتابه شعور بالأسف والحسرة على ما ضاع .كما انتابه خوف من تأنيب أبيه اذ لم يحفظ جزءا من الأمانتين.عاد الطفل الى فراشه وقد انتصف الليل وبرد .قضى وقته يفكر

في الغد .فيما سيفعل إذاً وقد سُرِق .أول مظهر من مظاهر التعثر والفشل والخوف يتعرض له .أول فشل في الدفاع عن نفسه وعن متاعه .حلت الثامنة ولم يغادر الدار .ولم يذهب الى الثانوية .كان زملاؤه يسالونه دون أن يجيب .كان عليه أن يقدم أول شكاية في حياته .اليوم سيقاضي أحدهم أما سي عزوز .فتحت الإدارة بدار الطالب بابها . حضر سي"عزوز" ،بعد أن اخذ مكانه في مكتبه بادره تيمح "لقد سرقني"عكو""""سرق مني خمسة وعشرين درهما """"ثم أنهال يبكي ."لا تقل هذا ،فذلك الشاب لا يمكن أن يفعلها .إذهب ولا تخبر أحدا حتى أنظر في الأمر """لا يزال سي عزوز ينظر في الأمر ،ولا يزال تيمح ينتظر أن ينظر سي عزوز في الأمر فيقتص من """"عكو"" ويسترد منه المال الذي أخذه """"